التعقيب على تعقيب سعد الحافي

اطلعت في مجلة الدارة (العدد الثالث - السنة السابعة والثلاثون) على تعقيب الأخ سعد الحافي على مراجعتي لكتابه المسمى "راشد الخلاوي شاعر القرن الثامن الهجري"، وقد كان لي بعض الوقفات مع ذلك التعقيب الذي حوى كثيرًا من الملاحظات، من أبرزها إصرار المؤلف على الخطأ في تحديد عصر الخلاوي ونسبه، وكذلك الحيدة عن أهم أدلته التي وظفها في كتابه لإثبات عصر الخلاوي ونسبه، وغيرها مما سيتضح للقارئ الكريم من خلال هذه الوقفات.

الوقفة الأولى:

قال سعد الحافي: "لم تكن هناك دراسات علمية جادة وكثيرة عن الخلاوي حتى يعقد لها فصل مستقل".

قلت: إن من الإجحاف وعدم الإنصاف وصف عمل الشيخين ابن خميس وابن عقيل وغيرهما بأن دراساتهم ليست علمية أو جادة، فبغض النظر عن نتائج تلك الدراسات، فإن لها قدم السبق بالتعريف بالشاعر الخلاوي وشعره، وقد اجتهدت تلك الدراسات في تحديد عصر الخلاوي، ولم تتبنَّ نصوصًا موهمة فهمت بشكل خاطئ، ترتب عليه سلسلة من الأخطاء في تحديد عصر الخلاوي ونسبه، كما وقع في دراسة الأخ الحافي.

الوقفة الثانية:

قال سعد الحافي: "لم أقل بهذا أبدًا (يعني أنه لم يبنِ كتابه على الترجمة التي وجدها عند السخاوي لأحد الأعلامَ الذي يُدعى محمد بن راشد الخلاوي العجلاني)، بل الصحيح أن فكرة الكتاب الأساسية تنطلق من دلالة قصيدة مبارك الأعرج على أن الخلاوي عاش قبل منتصف القرن العاشر".

قلت: إن قول الأخ الحافي بهذا، يعتبر حيدة عن أهم أدلته التي اعتمدها في كتابه ووصل من خلال ذلك الدليل إلى نتائج دونها في الصفحة رقم (٧٤) من كتابه[١]؛ لذا حُقَّ لنا أن نسأل الأخ الحافي السؤالين التاليين:

- من أين أتى بأن كنية راشد الخلاوي هي أبو محمد؟! لولا اعتماده على نص السخاوي؟.
- ومن أين قرر الأخ الحافي أن الخلاوي عجلاني من ولد عبدالله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من هوازن، لولا ذلك النص الذي أخطأ في فهمه واستيعابه؟.

بينما ذلك النص يُترجم لمولى من موالي الشريف عجلان بن رميثة أمير مكة المكرمة، ولقد بسطت القول في تلك الترجمة أثناء مراجعتي لكتابه، بما لا حاجة إلى تكراره هنا.

وأما قول الأخ الحافي إن فكرة الكتاب الأساسية تنطلق من دلالة قصيدة مبارك الأعرج، فقد أحالنا في الصفحة

---

(١) انظر الملحق رقم (١).

رقم (٨) من كتابه عن الخلاوي إلى إحدى مقالاته التي نشرت في جريدة الرياض، التي حدد بها الزمن الذي عاش به الشاعر مبارك الأعرج فقال: "ونخلص من تلك الدلائل أن مبارك الأعرج من شعراء مطلع القرن العاشر والأبيات السابقة من قصيدة قالها بعد أن امتد به العمر"(٢)، وقال أيضًا في الصفحة رقم (١٠) من كتابه: "ففي البيت الرابع نجد دلالة تاريخية على أن راشد الخلاوي عاش قبل شاعرنا (يعني مبارك الأعرج)، وهذا يختصر علينا الجهد ويوجهنا للبحث فقط فيما قبل القرن العاشر".

قلت: فمن استقراء ما سبق نجد أن المؤلف الحافي يقرر أن الشاعر مبارك الأعرج قد أدرك مطلع القرن العاشر الهجري ولم يبلغ منتصفه، وأن الخلاوي عاش قبله بدلالة بيت مبارك الأعرج الذي قال فيه:

وصادت من قبلي منيع بن سالم

صحيب الخلاوي صادقٍ في وعودها

وللرد على ذلك أقول إن النسابة والمؤرخ ضامن بن شدقم الحسيني (ت بعد ١٠٩٠هـ) قد ساق في كتابه المسمى "تحفة الأزهار وزلال الأنهار" نصًا فريدًا أثبت به التقاءه بحفيد مبارك الأعرج، وهو "عمار بن فارس بن مبارك الأعرج" سنة ١٠٨٢هـ بمدينة أصفهان من بلاد إيران، ولا أدري هل اطلع الأخ سعد الحافي على ذلك النص أم لا؟ خصوصًا أنه قد رجع إلى كتاب ضامن بن شدقم ونقل عنه في مقالاته عن

(٢) جريدة الرياض، العدد ١٤١٤٢.

مبارك الأعرج المشار إليها في جريدة الرياض. قال ضامن بن شدقم: "عقب عمّار[بن فارس بن مبارك] هو المشار إليه، رأيته بأصفهان سنة ١٠٨٢هـ مع بعض بنيه"[٣]، فبما أننا لا نعلم متى ولد مبارك الأعرج ولا متى توفي، فإننا هنا نلجأ إلى استخدام قاعدة ابن خلدون التي تجعل كل ثلاثة أجيال في مئة سنة، وهي قاعدة لا تكاد تنخرم إلا بدليل، لذا فقد دلت هذه القاعدة على أن مبارك الأعرج كان حيًا سنة ٩٨٢هـ، وربما أدرك القرن الحادي عشر الهجري بدلالة وجود حفيده عمّار حيًا سنة ١٠٨٢هـ، لذا فإن هذا النص الذي ذكره ضامن بن شدقم قد ألغى استنتاج الأخ الحافي حول الزمن الذي عاش به مبارك الأعرج، وأنه لم يدرك منتصف القرن العاشر الهجري، بل إنه قد عزز ما ذهب إليه أبو عبدالرحمن بن عقيل، من أن الشاعر راشد الخلاوي من أهل القرن العاشر وأول الحادي عشر، أما البيت الرابع من قصيدة مبارك الأعرج فليس به أي دلالة تاريخية كما قرر الأخ الحافي فلا يزال الشعراء قديمًا وحديثًا يُسند بعضهم على بعض في قصائدهم، وهم متعاصرون وأحياءٌ يشهدون.

الوقفة الثالثة:

استشهد الأخ سعد الحافي ببيتين من الشعر من قصيدة تنسب لعامر بن زياد بن بدران أشار فيها للمنيعي، الذي هو عند الحافي منيع بن سالم ممدوح الشاعر الخلاوي، وهذان البيتان، هما:

(٣) تحفة الأزهار وزلال الأنهار، ج٢، ص ٣٩٣ .

يقــول ابن بدران مسقي حريبه
مـــرٍ على كـبـده تزايد وقــايده
كب الغـيـيـثي يا (المنيـعـي) وهـود
تـرى حـربهـم مـا ينلقي منه فـايده

قلت: المقـصـود بالمنيـعي في هذا البيت هـم المخـاريم أحـد فروع قـبيلة الدواسـر وهم الذين يقـال لهم أولاد منيع بن سالم بن زايد، وليس منيع بـن سالم الجبـري ممدوح الشـاعر راشـد الخلاوي، وهذه الحقيقة مجمعٌ عليها عند رواة وباحثي قبيلة الدواسـر وباحثيها كافة[٤]، وموضوع بيتي الشـعر هو خـلاف وقع بين فـرعين من قبيلة الدواسـر، هما الغييثات والمخـاريم، وقـد كـان دور ابن بـدران هو تهـدئة الأنفس وإزالة الضـغـائن، وهذا واضح من الأسـلوب التهـادني في الأبيـات التي لا يمكن أن يستخدمه ابن بدران، وهو شـيخ قبيلة الدواسـر مع شخص غريب عن قـبيلتـه، لو كان المقصـود هو منيع بن سـالم الجبـريً ممدوح الشاعر الخلاوي، كما ذهب إليه الأخ الحافي.

الوقفة الرابعة:

قـال الأخ سـعـد: "... إذا اشـتـمل النسب على طبـقـتين فـأكثـر جـاز أن ينسب إلى الجـمـيع، فيـقـال مـحـمـد الفـضـيلي، ومـحـمـد الربيعي، بل إن النسبة إلى الأعلى تغني عن النسبة إلى الأدنى".

قلت: لقـد طلبت من الأخ الحـافي أن يأتي بتـرجـمـة واحـدة على الأقل لأي شـخص مـن آل ربيـعـة الطائيين قـد تـرجم له

(٤) مـوسـوعـة القـبـائل العـربيـة، قـبـيلة الدواسـر، بحث عـبـدالعـزيز بن إبراهيم الأحيدب، المجلد الثامن، ص٧٦٣.

أحد المؤرخين ونسبه بهذه الصيغة (الربيعي) كما ذكر الحافي، ثم إن علماء الأنساب كالسمعاني[٥]، وابن الأثير[٦]، والسيوطي[٧]، قد ضبطوا صيغة الانتساب إلى الربيعي بأنها نسبة إلى الاسم "ربيع"، وأما النسبة إلى "ربيعة" فهي "الربعي"، وآل فضل وأبناء عمومتهم الآخرون ينتسبون إلى جدهم ربيعة بن حازم، وليس لهم جد اسمه "ربيع".

الوقفة الخامسة:

قال الأخ سعد الحافي: "كيف يجزم الصيخان بهذا الظن، ثم يحيل إلى نسخة مطبوعة ولم يطلع على المخطوطة الأصل، ثم يجزم بأن السخاوي لم يطلع على ...".

قلت: تمنيت أن الأخ الحافي قد زودنا في تعقيبه بصورٍ من المخطوطات التي طالبني بالاطلاع عليها، لكنني حصلت عًلى صورة من مخطوطة الضوء اللامع للسخاوي، التي كتبها عبدالعزيز بن عمر بن فهد وعليها خط السخاوي، وهذه المخطوطة محفوظة بمكتبة شستربيتي بدبلن في أيرلندا، ومنها نسخة مصورة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ولقد كانت المفاجأة أن السخاوي قد ضبط الاسم بالحاء المهملة، فهو عنده في أصل كتابه المخطوط (الحلاوي)[٨]، وليس الخلاوي كما هو موجود في

(٥) كتاب الأنساب، ج٢، ص ٢٩٣.

(٦) اللباب في تهذيب الأنساب، ج٢، ص ١٥ .

(٧) لب اللباب في تحرير الأنساب، ج١، ص ٣٤٦.

(٨) طالع الملحق رقم (٢).

النسخة المطبوعة من الضوء اللامع، وهي طبعة تجارية لم تحقق تحقيقًا علميًا، وقد نشرت لأول مرة سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٦م، نشرها حسام الدين القدسي، صاحب مكتبة القدسي بالقاهرة، فإذا نظرنا إلى نسخ كتاب "إتحاف الورى" التي بلغت أربع نسخ خطية[٩] حقق الكتاب عليها، وإلى مخطوطة الضوء اللامع التي كتبها بخطه عبدالعزيز بن عمر بن فهد[١٠]، وهي غاية في الإتقان والضبط - كما وصفها الحافي - وجدناها كلها تجمع بأن المتَرجم، محمد بن راشد هو الحلاوي وليس الخلاوي، وأما ما ورد في المخطوطة الوحيدة لكتاب الدر الكمين التي نسخت بعد وفاة المؤلف بتسع وأربعين سنة[١١]، فهو من تصحيفات النُساخ التي من أبرزها إعجام المهمل من الحروف، وقلب المعجم إلى مهمل، يعرف ذلك من له دراية وخبرة واطلاع على تراثنا المخطوط، ثم إننا إذا نحينا جانبًا الخلاف في كون المتَرجم (حلاوي) أو (خلاوي)، حقَّ لنا بأن نسأل الأخ سعد الحافي: لماذا تجاهل التعليق على كلمة (القائد)؟! التي كشفت حقيقة المتَرجم بأنه ليس ابنًا للشاعر الخلاوي، وليس من بني العجلان من بني عامر بن صعصعة من هوازن، كما توهم الأخ الحافي؛ بل هو أحد موالي أمير مكة المكرمة الشريف عجلان بن رميثة، ولقد توسعت في بيان هذه المسألة أثناء مراجعتي لكتاب الأخ سعد الحافي.

(٩) طالع في الملحق رقم (٣) نموذجًا لنسخة من نسخ كتاب إتحاف الورى.

(١٠) طالع الملحق رقم (٤).

(١١) طالع الملحق رقم (٥).

وفي ختام هذا التعقيب أقول إن الأدلة الصحيحة المتوافرة أثبتت أن الشاعر راشد الخلاوي هو من أهل القرن العاشر الهجري وأدرك القرن الحادي عشر، وليس كما ذهب إليه الأخ سعد الحافي، وأن ممدوحه منيع بن سالم من آل جبر من بني عُقيل من بني عامر بن صعصعة، والله أعلم وأحكم.

أ. علي بن سالم الصيخان

الملاحق

الملحق رقم (١)

الصفحة (٧٤) من كتاب سعد الحافي

نتيجة:

مما سبق يرجح لدينا أن الشاعر راشد الخلاوي هو أبو محمد راشد الخلاوي العجلاني من ولد عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من هوازن عاش القرن الثامن الهجري ومطلع القرن التاسع الهجري اشتهر بصحبته لمنيع ابن سالم أحد أمراء آل مانع من بني عصفور من بني عقيل.

الملحق رقم (٢)

ورقة من مخطوط الضوء اللامع للسخاوي بخط عبدالعزيز ابن فهد الهاشمي المكي، وفيها ضبط الاسم بالحلاوي

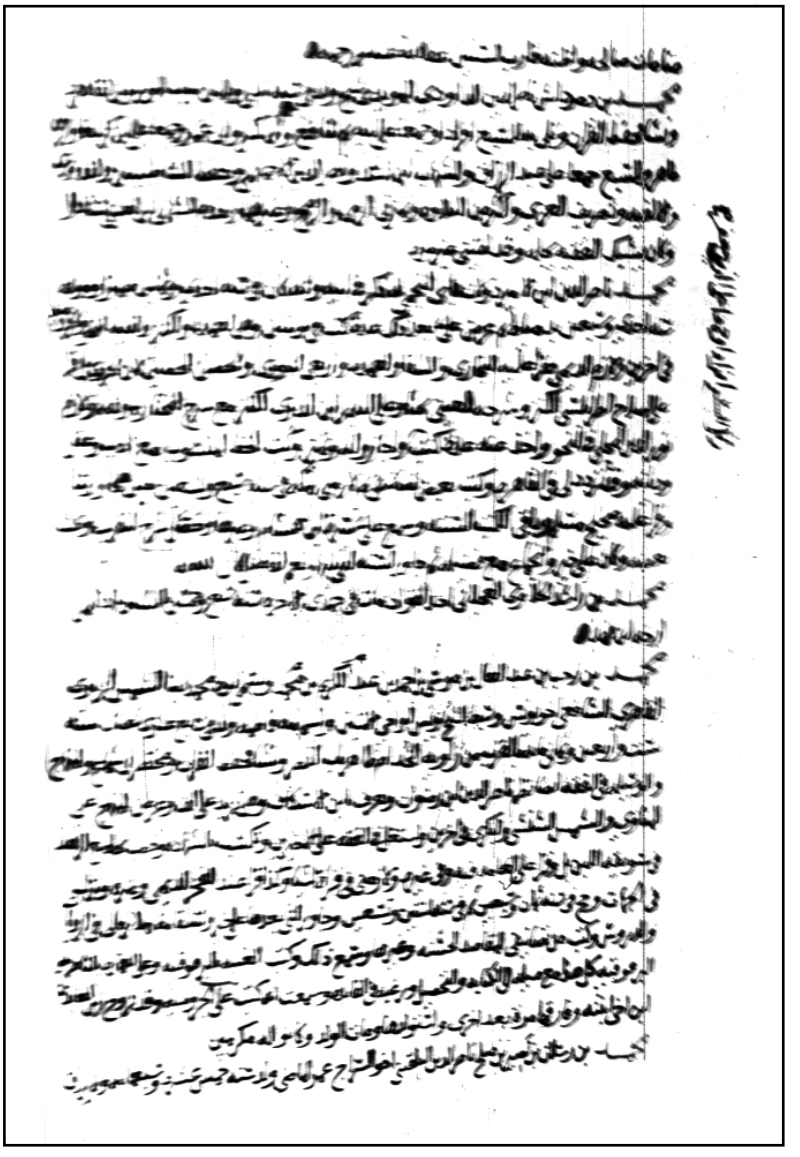

الملحق رقم (٣)

ورقة من مخطوط إتحاف الورى، ورد بها ذكر محمد بن راشد الحلاوي

الملحق رقم (٤)

الورقة الأخيرة من الجزء الرابع من مخطوط الضوء اللامع بخط عبدالعزيز ابن فهد الهاشمي المكي، تاريخ نسخها في ١١ صفر ٨٩٩هـ

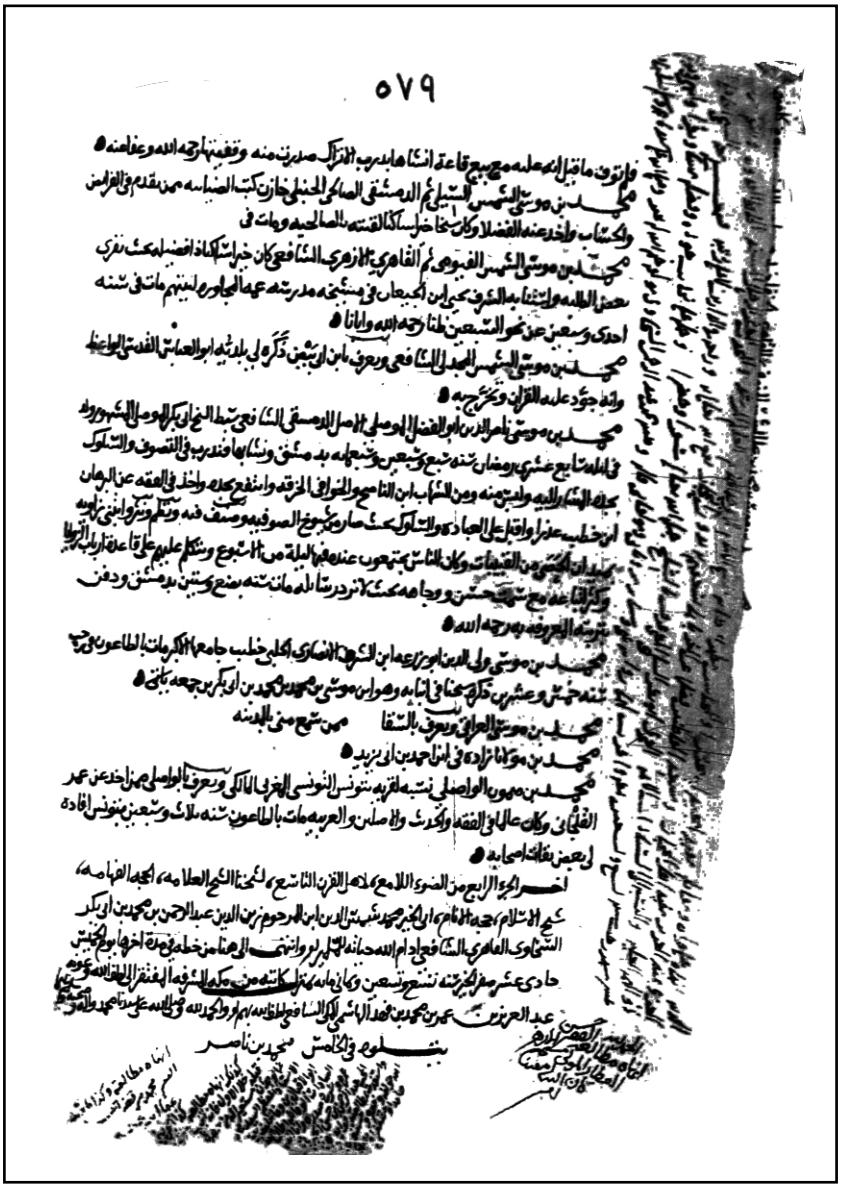

الملحق رقم (٥)

الورقة الأخيرة من مخطوط الدر الكمين